Al-Aqlam
1964 Nov
Vol 1 No 3

لقاء مع الفنان

شاكر حسن آل سعيد

كان لقاء هذا العدد من مجلة الاقلام مع الفنان الاستاذ شاكر حسن آل سعيد • وقد طرحت الأقلام على الفنان جملة أسئلة أجاب عليها – مشكورا – على النحو التالي :

– كان السؤال الأول عن التطورات التي شهدها فن الرسم عبر نتاجات مدارسة من القديم حتى آخر مبتكرات الفن الحديث •

••• أجاب الفنان يقول :

يصح السكوت على أية اجابة فنية لو لم يكن السؤال الموجه سؤالا تاريخيا • أما بصدد مثل هذا السؤال بالذات وجوابه المتوقع فلا يسعني

أن أجيب عنه الا بأن من الخطأ أو على الأقل ـ من المتعب ـ أن نقسم تاريخ الفن الى تاريخ كلاسيكي وحديث الا من قبيل التبويب فحسب والا فان تاريخ الفن هو تاريخ واحد وسواء أكانت المدرسة كلاسيكية أو حديثة فهي في صلبها استمرار غير متميز المعالم حتى لو قارنا ما بين فن (شكلي ـ طبيعي) والذي هو صفة جميع الفنون القديمة بما في ضمنها الفن الكلاسيكي (ما بعد القرن الخامس عشر ونصف القرن التاسع عشر) وفن (لا شكلي ـ مجرد) وهو صفة المدرسة الحديثة ٠

ومثل هذا التحديد الاولي يجرنا الى الاشارة أيضا الى أن أي فن شكلي هو فن لا شكلي ضمنا والعكس بالعكس ٠ ان ما يميز الفن حقا هو كونه جوهرا (ابداعيا) معبرا عنه بشكل من الاشكال ٠ وقد يكون هذا الشكل هو (اللاشكل) نفسه ٠

والواقع ان سياق تاريخ الفن العالمي عموماً والاوربي خاصة يثبت لنا هذا التحول الطارىء على الفن من كونه مظهرا خارجيا (تتضمنه جميع المدارس من الكلاسيكية ـ الواقعية ـ الرومانسية ـ الانطباعية) لكونه معنى داخليا (في مابعد الانطباعية فالوحشية فالتكعيبية ولحدما السريالية فالفن المجرد) ٠

المشكلة هي لست في أن نساهم في المامنا بتاريخ التطور الفني بهذا الاتجاه (شكلي أصبح لا شكليا) فحسب بل الكشف عن معنى هذا التحول الذي يبدو انه لا نهاية له ٠ وهنا لا يتسنى لنا الا الصمت فهو مصداق القول ٠

وسألنا الفنان : هل هناك مدرسة فنية عربية السمة ، متميزة ، وهل ترون وجود مدرسة عراقية كذلك ؟٠٠ فأجاب :

أما من حيث التسميات والسمات فلنقل ما نشاء قوله ٠ الا أن ما يميز وجود الفن العربي مثلا بما يحدد مزاياه ـ حتى في أدواره الجنينية (كأن يقال مدرسة عراقية) هو صموده في لجة الفن العالمي أولا ـ أي ظهور فنان متمكن من فنه يوازي أي فنان عالمي آخر بموهبته ومنجزاته ـ وتعبيره عن قيم تعكس لنا شخصية العربي وطابعه الخاص (ابتداء من أول حضارة تاريخية حتى الوقت الحاضر) ثانيا مثلما يمثله فهمه العميق لشتى الانعكاسات الفنية التي تتسم بها انجازاته مع تلقحها بصفات مبتدعة لا تمت لسواه بصلة ، سوى الصلة النوعية كالتي تساوي بين ملامح البشر جميعا في العالم مثلا ٠ وعلى ضوء هذا كله ألا يتسنى لنا أن نقول هل هناك من مدرسة عراقية ـ عربية بل اسلامية ؟ أما أنا (كرسام) فلا أقول شيئا لئلا أتصور نفسي (ناقدا) ! وهنا يجدر بي الصمت من جديد٠ ان وجود مدرسة فنية أو غير فنية منوط بوجود حركة فنية وتوصلات عند الفنانين ضمن الفن العالمي ٠ ومع ذلك فان من المهم أن نتبين معنى

المدرسة الفنية ٠

ان معنى أية مدرسة فنية يتحدد بوحدة فلسفة الاداء بين أية جماعة فنية الى الحد الذي يسمها بطابع شبه موحد ٠ أن مدرسة باريس مثلا ليست هي بهذا المعنى لانها تكونت من أعضاء فرنسيين أو باريسيين فحسب فمن المعروف أن معظم مؤسسيها كانوا من غير الفرنسيين ٠ ومع ذلك فان هذه المدرسة اليوم تمثل استقطاب الفن العالمي برمته وذلك لما تضطلع به من مسؤولية المساهمة في الفن الحديث بشتى فروعه واتجاهاته ٠ وبهذا المعنى يصح القول عن مدرسة بغداد للفن الحديث ٠ فقد كانت ولا تزال تحتوي على بذور مدرسة خصوصا وانها ذات أسانيد نظرية تراثية ٠٠ ولكن مدرسة بغداد هذه عربية ؟ أم عراقية ؟ أم ماذا ؟ ٠

لندع التسمية جانباً ٠ ولكن القول بوجود فن عربي يجدر أن ينطوي عليه حتى مجرد الشعور بالتجسد العربي في التأريخ ٠ ان الفن العربي اليوم هو ما يعبر عنه في البلاد العربية ٠٠ كل البلاد العربية ٠ بما فيه من انتكاسات ورجاعات وبما تعتمل فيه من توصلات بل (طفرات) ٠ ان مايميز (الحشرة) في صفاتها مثلا هو الذي يربط معشر الحشرات برباط قدسية النوع ، ولكن الفن العربي لايعدم رباط قدسيته الذي يسمو به الى كونه أهلا لأن يكون فنا عالميا ٠ وان مهمة الفنان العربي في هذا المجال هي مجرد التعبير الصادق (غير الزائف) عن موقفه كانسان ذا صلة مع الله ٠٠ وذلك لأن مصير الانسان ـ مهما تجاهل مصيره ـ فهو أن يموت ويترك من بعده تراثا ما فكريا أو ماديا ، وما لم يكن لهذا الانسان من (دعوى دينامية) حية كدعوى (عبودية الانسان ازاء سيادة الله) ٠ ومع ذلك فقد كان التجسد العربي في التأريخ خير مصداق على مدى اصالة الفن العربي الذي سرعان ما تطور عن ملامحه المحلية الى معالمه العالمية ٠ ومن ذا الذي ينكر اصالة فن الزخرفة في التأريخ ؟ ولكن الفن الزخرفي هذا بالذات كان يمثل ذروة توصل رؤيا ساكن الخيمة البدوي الى مستوى ساكن المدينة المتحضر ـ ولكنه (متحضر في موقف ما مدرك) ٠٠ ومن ذا الذي يستطيع أن يغمط حق تلك الدعوى السابقة لاوانها في الفن المجرد وأقصد بها (كراهية التصوير في الاسلام) ؟ انها من صميم (دينامية) العربي الذي أصبح فيما بعد مسلما (أي انه وصل الى نقطة منظورة) في أن يرهص (بالتجريد) وفي أن يتغلغل الى القيم ويخترق حجب المادة ٠٠٠ ومهما سيحاول الفنان العربي في التأريخ ممارسة فن الرسم أو النحت (ان صح له ذلك) فان قيمته كفنان (لم يفقد معالم شخصيته في لجة التيارات الغريبة المتدفقة) تكمن في مدى تخطيه لجميع جدران مدينته الفاصلة من خلال أحلام صحرائه الممتدة ٠٠٠٠ فهو لايبدأ في الرسم أبدا كتشكيل طبيعي (كالذي تناولته الحضارة الاوربية ولكنه يمارسه (كانطلاق نحو اللا ـ شكل) ٠٠ ومن هنا كان للتعبير عن الحركة والتهويم في فنه دورا (بديهيا) ذلك أنه لم

يكتف بالتعبير عن حركة ما في مجال العمل الفني بل عن قانون الحركة نفسها ...

وعلى سؤالنا حول تأثر الفنان العراقي بالمدارس الحديثة في فن الرسم ، أجاب الاستاذ شاكر حسن :

ـ « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » صدق الله العظيم .

وما (عبادتنا نحن البشر لله تعالى ، سوى (معرفتنا) بأنفسنا : فنحن البشر التافهين لسنا شيئاً ازاء الخالق ، ومهما كنا لنبرر لأنفسنا مدى تأثرنا بمنبع التطور الفني في العالم (بالمدرسة الحديثة مثلا) فلسنا الا نسخا زائفة اذا لم نفد من تأثرنا في (ابداعنا) . وبهذا الصدد بنص الحديث النبوي ايضا على نفس المعنى (من عرف نفسه فقد عرف ربه) . قد يبدو ان من الغرابة حشر الدين في الفن بصدد (التأثر) . ولكني كفنان عراقي .. عربي الخ .. (لا عبرة بالتسمية) لابد لي أن أكون متأثرا ـ وقد أكون متأثرا بتأثير سيء أو حسن ـ ولكن التأثر الحقيقي الذي يصل الفنان ـ أبدا ـ بأخيه الفنان هو الذي يدفعه في سياق التطور .. يكشف له عن منزلته من (المكون) وليس (المبدع) ومن (الخالق) وليس (المخلوق) ومن (الله الذي يحب الجمال) وليس من (البشر الذين يذكرون الله في افصاحهم عن الجمال) . ان دعوى التأثر الفني هي دعوى التغلغل في ممارسة العمل الفني بكل براءة وفي مثل هذه الحال لا تؤلف منها المدرسة الحديثة سوى (السبب) لهذا التغلغل .. (للافصاح) وليس (للحب) .

والواقع ان القول بالتأثر (بمعنى التقليعة) ينطبق لا على الفنان العراقي المغلق العينين فحسب بل على أي فنان عالمي يشبهه ، فما الذي سنجده اذن في نتاج الفنان العراقي مما يميز (التأثر الصادق) لديه ؟.. انه السير في طريق اللاشكل حتى آخر خط من الرقعة .. التعرف على (فلسفة) التعبير الحديث وليس على مجرد (الاداء) .. ومثل هذا التعرف لا يتحقق بغير (الابداع) في ممارسة الفن (كبحث جميل) وليس (كتقليد زائف)..

ولا يسعني في الاجابة بدقة على مثل هذا السؤال أخيرا الا القول « بأن الفنان العراقي سائر في سبيل هذا التأثر فحسب .» .. سائر في التعرف على الحق حتى من الباطل (اذا ما تضمن الباطل هذا الحق . وهل يتضمنه الا بالمظهر ؟) ولكن لم لا نتساءل مثلا ـ في شيء من العبث ـ ما مدى تأثر المدرسة الحديثة بنفسية الفنان العراقي ..؟ لنعرف أنفسنا حقا قبل أن نتأثر بشيء .

ان المدرسة الحديثة تمثل لنا (الحضارة العالمية في موقف ما) . وهي سواء بشقيها الاعلاني (المدرسة الواقعية) أو الدجلي (اللا ـ شكلية)

على حد تعبير (كامو) · فهي باعتقادي تنقل (موقف العربي في الصحراء) الى الصعيد العالمي ·· ان موقف الفنان الحديث في العالم ما بين (آلية) العلاقات و (تجاوز) الذات الانسانية و (حيرتها) معا أمام المجهول يحيل مدنية الانسان الملوع فيه الى صحراء ··· ومن هنا فان فلسفة الفنان الحديث في العالم هي فلسفة انسان في بداية طريق سيؤدي به اما الى (درب الصد مارد أو درب الصد رد ـ كما هو في حكايات ألف ليلة وليلة) وهذا بالفعل مايؤول به اما الى وثنية التعبير (الواقعي) الذي يسف بالفن العالمي الى مستوى الدعاية أو الى صوفية التعبير (المجرد) الذي يسمو به الى مستوى العبادة ·

في مثل هذا الموقف بالذات ما عسانا أن نعرف به أنفسنا ؟·

وان الجواب على ذلك مناط باصالة الفنان أيضا · لنقل اذن على الاقل اننا متأثرون بالظروف الموضوعية للحضارة العالمية ولكن نتاج تأثرنا لابد له أن يكون (موثرا) ·

وعلى سؤال الاقلام عن رأيه فيما حققه فن النحت العراقي ، أجاب :

(كرسام) لايسعني أن أبدي رأياً واضحاً في فن النحت عموما وفي النحت العراقي خاصة · يا أخي · ان مجرد سؤالي عن كلمة (نحت) بمعنى تعبير في ثلاثة أبعاد هو كسؤال التمساح عن احساس الطائر مثلا ···· اني أصمت أيضا ·

- **ولد عام ١٩٢٦**
- **تخرج فى كلية التربية ومعهد الفنون الجميلة ببغداد كما درس فن الرسم بمعهد الفنون الجميلة العليا (البوزار) والتحق بمدرسة الفنون الزخرفية العليا بفرنسا ·**
- **شارك فى أغلب معارض جماعة بغداد للفن الحديث ومعرض ابن سينا (بغداد ١٩٥٦) ومعرض الفن العراقى فى الهند والمعرض العراقى المتجول فى أوربا ·**
- **أسهم فى كتابةالكثير من البحوث الفنية فى الصحفوالمجلات العراقية والعربية ·**
- **ينتهج فى لوحاته الاتجاه المعاصر فى الفن ·**